

OPEN ACCESS

Submitted: 18 July 2020
Accepted: 30 October 2020

موقف جون رولز من الفردية: دراسة تحليلية

محمد فتحي القرش

باحث أكاديمي، أستاذ مساعد سابق في جامعة عمر المختار، ليبيا

dr_mohamed_alkerh@yahoo.com

ملخص

تنتقل هذه الدراسة من تساؤل مفاده؛ هل يُعدُّ حجاب الجهالة عند جون رولز نزعة معادية للفردية؟ وللإقتراب من الإجابة، تم إيضاح مدى أهمية إشكالية الفردية كونها قضية مركزية في الفلسفة السياسية، وكذلك تأثيراتها في العدالة، ثم مدى أهميتها في ظل ما تشهده المجتمعات المعاصرة من الطبقية الاقتصادية وقضية العنصرية المتزايدة، والعدوانية ضد الأقليات، بل كل ما يمثل الآخر وحقوقه.

وبالمنهج التحليلي، تم تفكيك مقولات رولز عن الوضع الأصلي والنسق المفاهيمي ومبدأي العدالة وحجاب الجهالة وعلاقة كل هذا بموقفه من الفردية.

تبيّن من الدراسة أن رولز عمل على أن يتفادى عيوب الليبرالية في صيغتها الرأسمالية التي تعاني في كثير من الأحيان من التطرف باسم حرية الفردانية التملكية، إضافة إلى حرصه الشديد على ألا يقع في أتون صيغة شمولية ماركسية. كما تبين أن حجاب الجهالة إنما هو محاولة لتحديد مسببات الأنانية - إذا جاز التعبير - ومن ثمّ تم إيضاح النقد الذي وجه إلى رولز، خاصة هذا النقد الرأسمالي الإنكاري عند فرانسيس فوكوياما والنقد الجماعي عند مايكل ساندل، وتم إيضاح ما يمكن أن نطلق عليه العقلانية الاجتماعية وإمكانية الاستقرار المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: الفردية، الوضع الأصلي، حجاب الجهالة، الفردانية التملكية، الاستقرار المجتمعي

للاقتباس: القرش، محمد. «موقف رولز من الفردية: دراسة تحليلية»، مجلة أنساق، المجلد 4، العددان 1-2، 2020

<https://doi.org/10.29117/Ansaq.2020.0114>

© 2020، القرش، الجهة المرخص لها: دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقاً لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

OPEN ACCESS

Submitted: 18 July 2020
Accepted: 30 October 2020

Rawls' Attitude towards Individualism: An Analytical Study

Mohamed Fathi Alkersh

Academic researcher, former Assistant professor at Omar Al-Mukhtar University, Libya
dr_mohamed_alkerh@yahoo.com

Abstract

This study is based on the question: Is the veil of ignorance according to John Rawls considered an anti-individualistic inclination? To get closer to the answer, the importance of the individualistic problem as a central matter in political philosophy was explained, together with its effects on the value of justice, and the extent of its importance in light of economic stratification and the increasing racism and aggression against minorities in contemporary societies, and all that represents the other and his rights.

Adopting an analytical method, Rawls' statements on the original position, conceptual pattern, principles of justice, the veil of ignorance and the relation of all of this to his attitude towards individualism were deconstructed.

The study concluded that Rawls worked to avoid the defects of liberalism in its capitalist form which often suffers extravagance in the name of free-handed individuality ownership, this is with great care not to fall into the furnace of a Marxist totalitarian formula.

Hence, the veil of ignorance was indeed an attempt to neutralize the causes of egoism -so to speak- and accordingly, the criticism faced by Rawls was exposed, especially capitalist and disapproval criticism by Fukuyama and collective criticism by Michael Sandel. What may be called social rationality and the possibility of achieving social stability was explained.

Keywords: Individualism; Original Position; Veil of Ignorance; Ownership Individuality; Social Stability

Cite this article as: Alkersh M.F., "Rawls' Attitude towards Individualism: An Analytical Study", *Ansaq Journal*, Vol. 4, Issue 1-2, 2020

<https://doi.org/10.29117/Ansaq.2020.0114>

© 2020, Alkersh M., licensee QU Press. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

المقدمة

تُعدُّ الفردية Individualism من أهم الإشكاليات في الفكر السياسي، نظرًا إلى تشابكها مع قضية الحريات الاقتصادية من جهة والعدالة الاجتماعية من جهة أخرى، كذلك يرتبط الموقف من الفردية بالحريات السياسية إيجابيًا أو سلبياً، في ما بين مواقف تُعلي من الفردية باسم الدفاع عن الحريات السياسية، وأخرى تقلص الفردية، بل تكاد تقضي عليها نهائياً، ويتم ذلك أيضاً باسم الحرية والتحرر!

ومن ثم تأتي أهمية اختيار تحليل إشكالية الفردية، خاصة في ظل ما تشهده المجتمعات المعاصرة من تفاقم للطبقية الاقتصادية، ومن أهم دلالاتها زيادة معدلات البطالة، بل حتى في ظل العمل يُرصد الازدياد المتوحش في نسبة الفقر، إذ يزداد الأغنياء غنى والفقراء فقراً، وهذا يشبه تزايد الاحتجاجات والصدمات في العديد من المجتمعات؛ وكل ذلك يؤكد أن هناك خللاً ربما يصل إلى حد التصدع المجتمعي وما يمثله من خطر وجودي على الحكومات والدول التي تنجرف في نمط من الآلية الرأسمالية المتطرفة. والخطر في هذا أيضاً أن هذا التهميش الاقتصادي غالباً ما يصاحبه تهميش سياسي لأغلب فئات المجتمع، وذلك في ظل سطوة رأس المال، كما أن هذا المناخ الخانق من تراجع قيمة المساواة وتآرجح العدالة، يؤدي إلى العنصرية وتفاقمها، وهو ما نرصد تزايد وتيرته في بعض المجتمعات في الآونة الأخيرة، وأيضاً نجد أن تلك التوجهات غير الإنسانية تنعكس في ازدياد العدوانية ضد الأقليات، بل ضد كل ما يمثل الآخر وحقوقه.

بناء على تلك الأسباب، تتضح أهمية مناقشة وتفكيك إشكالية الفردية وتحديد موقف جون رولز (1921-2002)¹ منها، بوصفه أحد أبرز فلاسفة السياسة المعاصرين، والأكثر انغماساً في مناقشة قضية العدالة وما يتعلق بها من إجراءات.

ومن خلال المنهج التحليلي، تحاول هذه الدراسة أن تستخلص موقف رولز من الفردية في تشابكها المعقد مع نظريته عن العدالة وما تتضمنه من فرضية الوضع الأصلي وما تقترضه من نسق مفاهيمي للتوصل إلى مبادئ معينة، وعلاقة الفردية بما سواه حجاب الجهالة، ثم تأثير ذلك في الليبرالية.

ومن ثم تعمل الدراسة على معالجة عددٍ من التساؤلات، من أهمها: ما المعنى اللغوي والاصطلاحي للفردية؟ ما علاقة الفردية بالوضع الأصلي ونسقه المفاهيمي؟ إلى أي مدى تتأثر الفردية بمبدأي العدالة؟ ومن ثم يأتي تساؤل مفاده: هل حجاب الجهالة الذي افترضه رولز يعد نزعاً معادية للفردية كتلك التي عبر عنها بعضهم بأن الفردية منبع كل الشرور؟ أم أن موقفه يتضمن فهماً جديداً للفردية؟ وكذلك ما تأثيرات موقف رولز في الليبرالية؟

وللإجابة عن ذلك، سيتم تحليل موقف رولز من الفردية في ثلاثة محاور، يعالج الأول ماهية الفردية، في حين

1 - فيلسوف أميركي معاصر. كان أستاذاً في جامعة هارفارد، ويُعدُّ من أهم فلاسفة السياسة في القرن العشرين، بل هو من أعاد للفلسفة السياسية بريقها في الفكر المعاصر، وقد بدأ كفاحه الفلسفي المثابر منذ خمسينيات القرن العشرين، ولكن مع ذلك لم ينل شهرته إلا في بداية السبعينيات مع طرحه التفصيلي لنظريته عن العدالة التي صدرت في عام 1971 التي جعلته في مصاف الفلاسفة الكبار من أمثال أفلاطون وابن رشد وديكارت وهيغل وميل، إذ إن نظريته تعد محاولة جادة لمعالجة كثير من أوجه الخلل التي أصابت الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي؛ فنأدى بأن العدالة هي الفضيلة الأولى لأي مجتمع مؤسسي، كما أنها الغاية التي يجب على المذاهب الفلسفية أن تسعى إلى تأكيدها والدفاع عنها، ثم تابعت مؤلفاته، ومن أهمها الليبرالية السياسية عام 1993، ثم عمل للرد على ما وُجِّه إليه من انتقادات، فقدم آخر مؤلفاته العدالة كإنصاف: إعادة صياغة، الذي أُلِّفه في السنوات الأخيرة من حياته وصدر في عام 2001.

يتناول الثاني الفردية والعدالة، أما الثالث فيتطرق إلى موقع الفردية من حجاب الجهالة، وأخيراً تختتم الدراسة بأهم النتائج التي توصلت إليها.

1. ماهية الفردية

يقتضي تحديد موقف رولز من الفردية أن نبدأ بتعريفها في قواميس اللغة، ثم نتبع ذلك بعرض تحليلي مكثف لأهم الآراء والمواقف التي تداخلت على نحو ما مع موقف رولز من الفردية، خاصة أن تاريخ الفلسفة جزءٌ منها. والفرد في اللغة هو «الوتر، والجمع أفراد وفرادى. والفرد: المتحد والجمع فراد؛ أنشد ابن الأعرابي: تخطف الصقر أفراد السرب. والفرد أيضاً: الذي لا نظير له، والجمع أفراد، وشجرة فارد وفارده: متنحية؛ قال المسيب بن علس: «في ظل فارده من السدر» (ابن منظور 3/331).

والفردية تجعل من الفرد المسألة المركزية في التحليل التاريخي والاجتماعي «الفردية مذهب فكري - سياسي ينطلق من اعتبار الفرد وأعماله وآماله أساساً في تفسير التاريخ والظواهر الاجتماعية. وفي المجال الديني كان هذا الاتجاه مساعداً على الإصلاح والتحرر من قبضة الكنيسة وتحكمها بالفرد بشكل عام. وعلى الصعيد السياسي ينطوي على الاعتقاد بأن الهدف الرئيس للمجتمع والدولة إنما هو الحفاظ على مصلحة الفرد وسعادته وأن واجب الدولة هو مساعدته على تحقيق ذاته وأقصى طاقاته» (الكياي وآخرون 4/496).

وهناك الفردانية Individuality، وهو مصطلح مراوغ؛ ففي حين يستخدم في بعض أدبيات الرأسمالية بوصفه التعبير الأكثر حدة المطلوب استخدامه ضد الجماعية والاشتراكية، نجد أن المصطلح نفسه يعتمد على بعض اليساريين ومنهم أصحاب الاشتراكية الحادة، ولكن هذه المرة باسم التحرر الإنساني من ربة الاستبداد الاقتصادي للرأسمالية أو الاستبداد السياسي للدولة، ويأتي في مقدمة هؤلاء الاشتراكيين، الذين يصنفون بالفوضوية، الفيلسوف الألماني شتيرنر Max Stirner (1806-1856) وصيخته الشهيرة «أنا عدو الدولة الفاني»!

والنزعة الفردانية ترى الفرد أكثر جوهرية وقيمة «الفردانية تقال على كل نظرية وكل نزعة ترى في الفرد إما صورة الواقع الأكثر جوهرية وإما أعلى درجة قيمة» (لاند 657، 658).

وقد شكّلت الفردية أهمية قصوى في الفلسفة السياسية وأنظمة الحكم، إذ بحسب الموقف منها تُصنّف الأنظمة السياسية والاقتصادية ما بين المذهب الفردي وفي مقابله المذهب الاجتماعي ثم المذهب الجماعي Collectivism، حيث ترى الاتجاهات الاجتماعية أن الوجود الذي يُعتد به إنما هو المجتمع «فتسلم الفلسفة الاجتماعية بالمعنى الأنطولوجي بوجود مجتمع لا أفراد قصديين فاعلين» (هوندرتش 1/241).

ويزداد الموقف السلبي إلى درجة الاستبعاد والاضمحلال للفرد وحرية في إطار المذهب الشيوعي Communism، بينما يقوم المذهب الفردي Individual على تأكيد القيمة المستقلة للفرد وأسبقية على المجتمع ونشأة سلطة الدولة، ثم التأكيد على حرية الفرد واستقلاله وحقه في تحقيق منفعة ورغباته.

وفي بعض الأحيان تمضي الأمور إلى حد التطرف، حيث إنكار أي وجود للمؤسسات الاجتماعية «فتقر أحد أشكال الفردانية المتطرفة أن الكائن القصدي لا يتشكل من أي تجمع، أو أية كينونات اجتماعية، لأنه ليس هناك مثل هذه الكينونات أصلاً» (هوندرتش 1/242).

وتعد الفردية، إلى جانب ركيزتي الحرية والمساواة، أحد أهم المضامين التي قامت عليها الليبرالية Liberalism التي لم تُعرف بوصفها مصطلحًا إلا في بداية القرن التاسع عشر عندما سُمِّي بها حزب سياسي في إسبانيا في عام 1810، ومن ثم حدد القصد من الفردية بحرية الإنسان في المجال السياسي بوصفها في مقدمة الحقوق الأساسية للفرد تجاه سلطة الدولة، بل كذلك تجاه التقاليد الاجتماعية التي تتعارض مع عقلانية الفرد وقدراته الإبداعية، وهذا ما يعرف بالليبرالية السياسية. وفي المجال الاقتصادي قُصد بالفردية الليبرالية حرية الفرد في المبادرة وإقامة المشروعات، مما أعطى زخمًا إضافيًا لمفاهيم الفردية الرأسمالية التي قدمها الفيلسوف الإنجليزي آدم سميث Adam Smith (1723-1790)، وإن كانت تلك الفردية الرأسمالية سيصيها قدر لا بأس به من الانحرافات البنيوية بما أثر سلبًا في الليبرالية واستدعى مقاومة حادة وراдикаلية تمثلت في الاشتراكية الماركسية، أو محاولات إصلاحية من أهمها تلك المحاولة الرولزية التي نحن بصدد تحليلها في هذه الدراسة.

وإذا شئنا تأصيلًا تاريخيًا للفردية فإننا نجد أن السوفسطائية Sophism اشتهرت بانتهاج النسبية الأخلاقية، فيقول بروتاجوراس Protagoras (420-487 ق. م.) «الإنسان مقياس كل شيء، والسبب في وجود ما هو موجود، وعدم وجود ما لم يوجد»، ومن ثم يكون من حق أي فرد أن يرى ويفعل ما يشاء طالما أنه يرى أن هذا حقٌ وصواب، ورغم أن السوفسطائية قد أحدثت لغطًا حول القيم الأخلاقية، فإننا لا ننسى أنها أول مدرسة جعلت الإنسان القضية المركزية في الفكر الفلسفي، وجاء سقراط Socrates (399-469 ق. م.) فرفض النسبية الأخلاقية، مبيِّنًا خطورتها على المجتمع، وفي هذا السياق حاول تقديم فردية إيجابية ناحتًا عبارة «اعرف نفسك بنفسك».

بدأ التوجه الفعلي للمناداة بالمساواة بين البشر في أوروبا مع القرن السادس عشر، كذلك يعد الكوجيتو الديكارتي² «أنا أفكر إذن أنا موجود»، بداية حقيقية لبزوغ قيمة الفرد في الثقافة الغربية الحديثة، حيث أصبحت الذات الفردية مصدر اليقينيات. وأيضًا جاءت نظرية العقد الاجتماعي Social Contract عند توماس هوبز T. Hobbes (1588-1679)، حتى وإن اتخذ من ذلك تبريرًا اضطراريًا لتأييد السلطة المطلقة في ذلك الوقت، حيث «حكم (الليفتان أو السلطة المطلقة)» (Hobbes 240)، وعند جون لوك J. Lock (1632-1704) بدأ تقديم حريات الفرد بوصفها حقوقًا طبيعية، وأسبقية تلك الحقوق عن نشأة المجتمع وما يتضمنه من سلطات.

كما نادى بالتوازن في ما بين الحريات الفردية وسلطة القانون، مؤكدًا على الوعي الشخصي. ويعلن روسو Rouseau (1712-1778) مقولته التحررية والاستغرابية في الوقت نفسه «يولد الإنسان حرًا، ويوجد الإنسان مقيدًا في كل مكان» (78). ومن ثم نادى بمكانة الفرد، وأن هدف أي نظام اجتماعي وسياسي يجب أن يكون حفظ حقوق جميع الأفراد، وذلك في إطار من الإرادة العامة General Will حيث القيم والقوانين الاجتماعية.

وتضمنت فلسفة كانط Kant (1724-1804) فكرة المساواة المتمثلة في الذاتية المشتركة بين الناس جميعًا، ومن ثم يأتي الواجب الأخلاقي الذي يجب أن يكون بعيدًا تمامًا عن أي غائية، فيقول إن الفعل الذي يؤدَّى بمقتضى الواجب يستمد قيمته لا من الهدف الذي يلزم تحقيقه، ولا أي موضوع من موضوعات الرغبة/ الغائية، بل فقط أن يكون نابعًا من إرادة الواجب» (66).

2 - الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت Rene Descartes (1650-1596) الذي يعد مؤسس الفلسفة الحديثة، ومن أهم مؤلفاته: مقال عن المنهج، والتأملات، ومبادئ الفلسفة.

ولم يجذب بريك Burke (1729-1797) فكرة الحرية والمساواة، ومع هذا ستقوى نداءات تحرر الإنسان من العنصرية، حتى يصبح لدعوات الاستقلال معنى وصدقية «ففي القرن الثامن عشر الذي اتسم بالثورات عندما كان الرجال في إنجلترا وأميركا وفرنسا يطالبون بحقوقهم، أخذ البعض يصر على ضم النساء إلى مجتمع حقوق الأفراد ومسؤولياتهم [...] وتوحدت الحركة النسائية وحركة تحرير العبيد في إنجلترا وأميركا تحت مفهوم عام لليبرالية والحقوق الفردية» (بوز 12).

ودعا سميث إلى الحريات الفردية ومنطقية المنافسة، وشعار «دعه يعمل .. دعه يمر»، ولكنه حذر من تفشي المظالم، منادياً بالإحسان والعدل، وإن كان تأكيداً الأكثر على العدل «فقد يبقى المجتمع، وإن لم يكن في أفضل حال، دون إحسان، لكن هيمنة الظلم لا بد أن تدمره تماماً» (بوز 27).

ورفض هيغل (1770-1831) فكرة الحقوق الطبيعية لأنها قدمت الفرد بوصفه صانعاً للمجتمع ومؤسساً، ومن جدلية الفرد/ المجتمع، تأتي مهمة الدولة بوصفها المركب العقلائي والمطلق لتمتص الجزئي بداخلها، ثم يتدارك هيغل موضحاً أن طبيعة هذا التكوين العقلائي المفترض يحتم على الدولة الابتعاد عن الأطماع والأهواء، وبناء عليه «يأتي تقبل الفرد التضحية بمصالحه، من أجل تلك الدولة، وليس أهواء الحكام أو أطماعهم» (Hegel sect. 261).

ولعل خطورة مصادرة الحريات، تتضح في الرد المضاد، حيث تظهر اتجاهات راديكالية تنادي بتحرر الإنسان إلى درجة المناذاة بإلغاء الدولة والعودة مرة أخرى إلى حالة الطبيعة الحرة. ويعد أصحاب المذهب الفوضوي Anarchism، خاصة شتينر وبرودون Proudhon (1809-1865) من أشهر المعبرين عن هذا الاتجاه، حيث قالوا بالفردانية Individuality وتحررها في مقابل الدولة ووجودها، ولا شك في أننا نرفض هذه التوجهات المتطرفة لأنها خلطت بين أهمية العمل والكفاح للتخلص من استبداد سلطة ما ومظالمها، وبين الدولة التي هي صرح وجوبي، بل إن الإسقاط الفعلي للنظام الفاسد والقمعي هو في حقيقته حفاظ على الدولة التي في إطارها يُؤتى بسلطة حاكمة تتحمل بالفعل مسؤولية توفير المناخ الملائم للوجود الحر والكرام للفرد.

تعد النفعية Utilitarianism من أكثر المذاهب تأثيراً في قضية الفردية وعلاقتها بالآخرين في المجتمع، وهذا يعود إلى المقياس الذي وضعته في حكم الفرد على الأفعال والأشياء «فالنفعية منهج في الأخلاق يعتبر المتعة Hedonism أو إشباع الرغبة العنصر الوحيد في الخير الإنساني» (هوندرتش 2/ 954). فقد انطلق بنتام (1748-1832) من التأكيد على اللذة والألم «فقد وضعت الطبيعة الإنسان تحت سيطرة سيدين هما اللذة والألم، فهما يتحكمان في كافة ما نعمل وكل ما نفكر فيه [...] ولا يمكن أن يؤدي أي جهد للتحرر من هذا التحكم» (Bentham 19).

وتعد فلسفة شوبنهاور Schopenhauer (1788-1880) من أكثر الفلاسفات التي وقفت موقفاً معادياً من الفردية، في تصور حاد عن كونها منبع كل الشرور. ونجد رينوفيه Renouvier (1815-1903) وتأكيداً على الشخصية الإنسانية الحرة والفاعلة في التاريخ، حيث حاول أن يُعطي للفردانية بُعداً إنسانياً «الفردانية ترى أن الواقع الحقيقي ممتنع عن الأنواع والأجناس، وإنما هي مرتبطة بالأفراد، لأنهم هم من يمثلون كفاءتها» (لالاند 658).

ويقدم الفيلسوف الإنجليزي غرين Thomas Green (1836-1882) ما يمكن أن نطلق عليه الليبرالية المثالية، حيث نادى بالمسؤولية الاقتصادية الأساسية للدولة. إلى أن أتى ماركس Marx (1818-1883) ليتخذ

الموقف الحاد والمناقض تمامًا لليبرالية الرأسمالية، حيث دعا إلى الملكية العامة في مقابل القضاء على الملكية الخاصة، وفي مقدمتها ملكية وسائل الإنتاج، بل نادى -مع لينين- بها إطلاقاً عليه دكتاتورية البروليتاريا؛ ففي البيان الشيوعي نجد «أن ثورة البروليتاريا الناتجة عن تناقضات النظام الرأسمالي هي ثورة حتمية، وأن القضاء على ذلك النظام حتمي أيضاً. وأن ثورة البروليتاريا تؤدي إلى مرحلة انتقالية من الناحية السياسية تتمثل في دكتاتورية البروليتاريا» (ماركس وإنجلز 70).

وكان للماركسية أثرٌ كبيرٌ في الواقع الاجتماعي والسياسي في كثير من الدول، إلا أنها افتقدت مثل هذا الحضور في مجمل ثقافة أوروبا الغربية والبنية الاقتصادية والسياسية في الولايات المتحدة الأميركية، حتى رغم ظهور بعض الأفكار التحذيرية من التطرف في الفردية الاقتصادية، وأوضح هذه التحذيرات أتت على يد فيلسوف البراغماتية الاجتماعية، إذا جاز التعبير، الفيلسوف الأميركي ديوي John Dewey (1859-1952) إذ كتب قائلاً «لعل أبرز سمة لحياتنا الحاضرة، هي اللاأمنية؛ الافتقار إلى الإطمئنان، وإنها للأسفة أن نرى الملايين من الرجال الراغبين في العمل عاطلين بصورة دورية متكررة، إذ بالإضافة إلى حالات الكساد الدورية، فإن هناك في جميع الأوقات جيشاً دائماً من العمال العاطلين» (ديوي 48).

ومع هذا، من الواضح أن تلك التحذيرات لم تأتِ بالنتيجة المرجوة، وهذا يثبت الواقع، ويثبت كذلك أنه بعد عقدين من الزمان يأتي تحذير آخر أكثر تفصيلاً وأكثر عمقاً تخصصياً؛ نظرية رولز عن العدالة.

2. الفردية والعدالة

1-2. الوضع الأصلي Original Position

يبدأ الفيلسوف السياسي غالباً من إشكالية أو معضلة يعانيتها الواقع المعيش، حيث تندلع الاستشارة ويتوهج التساؤل الفلسفي عن طبيعة ومسببات تلك الإشكالية، ومن ثم يأخذ الفيلسوف في رصدها، وبعد ذلك يتجه - في مجهود مضمّن - إلى فحصها وتحليلها في خلوة عقلية، ثم يعود إلى الواقع ليقدم ما توصل إليه من مقاربات وصياغات في محاولة لعلاج الإشكالية التي بدأ منها. وهذا ينطبق تماماً على فلسفة رولز الذي رصد العديد من المظالم التي تقع على بعض من الفئات الاجتماعية - حيث التهميش الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. وتساءل رولز كيف تتم إعادة، بل تفشي، هذا الخلل بعد فلسفات التحرر التي آتت أكلها بإقامة المجتمع الديمقراطي، وتوصل إلى أن ذلك يعود في المقام الأول إلى الاستسلام والتفوق في مذهب المنفعة.

وكان رولز مدرّكاً لذلك منذ طرحه لنظريته عن العدالة، الأمر الذي عاد إلى توضيحه على نحو أكثر تأكيداً في كتابه الليبرالية السياسية قائلاً: «إنه على امتداد فترة طويلة من الحقبة المعاصرة لفلسفة الأخلاق Moral Philosophy هيمنت المنفعة Utilitarianism في العالم الناطق باللغة الإنجليزية في أشكال مختلفة، ويعود ذلك أساساً إلى أنها اقترنت بأسماء مفكرين كبار من أمثال هيوم وسميث وسدجويك الذين اعتُبروا المعبرين عنها والناطقين باسمها، حتى إنهم استطاعوا أن يقدموا نظريتهم تلك كنظرية متسقة في بنائها، ولها ثقلها ومداهها المفرط. ولم يفلح أولئك الذين انتقدوا المنفعة في صياغة تصور أخلاقي منهجي وعملي في الآن ذاته بحيث يستطيع أن يقوم ندّاً قوياً لها» (Rawls- Political Liberalism xiv, xv).

ورغم أن جون ستيوارت ميل حاول أن يخفف من حدة مذهب المنفعة بتأكيده مرة أخرى على عدم حصر اللذة والمنفعة في مفهومها المادي، وتوسيع نطاقها إلى لذات ومنافع معنوية، مع ذلك بقي مذهب المنفعة مرتبطاً بمفهوم المصلحة الذاتية، بل بمعياره الأساسي طلب اللذة واجتناب الألم.

ومن هنا سيُقدم رولز على رفض صريح لمذهب المنفعة، بل سيتخذ من رفضه له أساساً لبناء نظريته عن العدالة كمعيار تقييمي للفرد والمجتمع بديلاً من هذا المعيار النفعي، ومستأنساً في ذلك بأدبيات نظريات العقد الاجتماعي، خاصة عند لوك وروسو وكانط، ومن هذا المنطلق بدأ رولز في المعالجات بأن قدّم نظرية «العدالة كإنصاف» بوصفها الأكثر تعبيراً وانسجاماً مع الديمقراطية «ولذلك عملت جاهداً على إيضاح أهم الخصائص البنوية لهذه النظرية التي أسميها نظرية العدالة بوصفها إنصافاً Justice as fairness ومن ثم بلورتها حتى تكون قادرة على منافسة المنفعة بجديّة فتقوم بديلاً منها، ومعبرة عن مؤسسات المجتمع الديمقراطي (Rawls- Political Democratic Society) (Liberalism xv).

ومن ثم عمل رولز على أن تشكل نظريته عن العدالة كإنصاف تصوراً ممنهجاً ومعقولاً³، بل أكثر يقينية كأساس للديمقراطية الدستورية Constitutional Democracy.

وهكذا عمل رولز على كسر هذا الطوق النفعي الذي كبل القيم الليبرالية المفترضة، وذهب يبلور نظرية العدالة بديلاً من هذه النفعية، وذلك في صيغة تعاقدية وسمة أخلاقية كانطية.

ومن ثم كان افتراض رولز لما سماه الوضع الأصلي، من أجل إيجاد توافق عمومي على مبادئ محددة ومنظمة، وهكذا نجد مدى تأثر وتناسق هذا الوضع الأصلي مع صيغة العقد الاجتماعي التي طرحت في بدايات القرن السابع عشر، فيقول رولز «إن الوضع الأصلي يجب فهمه على أنه وسيلة تمثل، بمعنى أنه صياغة لمعتقداتنا كأشخاص معقولين بوصفها الأطراف، حيث كل واحد فيها مسؤول عن المصالح الأساسية للمواطن الحر والمتساوي مع غيره» بأنها متموضعة بصورة منصفة وأنها ستصل إلى اتفاق خاضع لقيود مناسبة عامة على أسباب لمصلحة مبادئ العدالة السياسية» (العدالة كإنصاف 111، 112).

ثم يأتي حجاب أو ستار الجهل الذي يقده رولز «إذا كنا عقلانيين فسيكون أحد معتقداتنا المعبرة أن لا تكون واقعة كوننا نشغل موقعاً اجتماعياً، سبباً لقبول مفهوم للعدالة لمصلحتنا أو التوقع من آخرين أن يقبلوه. وإذا كنا أثرياء أو فقراء، فنحن لا نتوقع من كل إنسان آخر أن يقبل بنية أساسية لمصلحة الأثرياء أو الفقراء، لمجرد ذلك السبب، ولصياغة هذا الاعتقاد واعتقادات أخرى مماثلة لا نسمح للأطراف أن تعرف الوضع الاجتماعي للأشخاص الذين يمثلونهم، وحجاب الجهل veil of ignorance توسيع للفكرة نفسها للصفات الأخرى للأشخاص» (رولز- العدالة كإنصاف 111).

إن هدف رولز هو تفعيل الديمقراطية، إذ كتب يقول: «إن أحد الأهداف العملية للعدالة كإنصاف هو توفير أساس فلسفي وأخلاقي مقبول للمؤسسات الديمقراطية، وبالتالي التوجه إلى السؤال عن كيفية فهم دعاوى الحرية والمساواة» (رولز- العدالة كإنصاف 91).

3 - يستخدم رولز كلمة معقول بمعنى مقبول، في حين يستخدم كلمة عقلائي بمعنى واقعي.

وهكذا نجد عند رولز محاولة جادة للعودة إلى ما يمكن أن نطلق عليه القيم الأصيلة التي قدمها جون لوك في حديثه عن الحكومة المدنية وما تلتزم به بتأدية الهدف الذي تم إنشاؤها من أجله، وهو الحفاظ على حقوق وحرية الأفراد وتنظيمها، بما في ذلك حق الملكية الشخصية التي هي حق لكل الأفراد، حيث إنها تنتج من الامتلاك الطبيعي المشاع؛ وفي مقدمته الأرض، ثم ينتظم هذا بالعمل والجهد الذي يبذله الفرد في ظل الحكومة المدنية، ومن ثم فهو ليس امتلاكاً طبقياً، بل حق مجتمعي يجب أن يظل متاحاً لكل الأفراد، وهذا أيضاً ما تؤكد عليه أفكار جان جاك روسو، خاصة في حديثه عن التحرر من الأغلال الاقتصادية والسياسية، وفي هذا الإطار أيضاً نجد دعوة كانط إلى المساواة بوصفها قيمة مجتمعية وإنسانية. وكل ذلك هو المضمون الذي تكوّن عن التحرر والفردية والمساواة، ولم يعرف مصطلح الليبرالية Liberalism - كما قلنا من قبل - إلا في عام 1810 عندما أطلق على حزب إسباني اقتراب من تلك الأفكار، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه الليبرالية الأصيلة أو الليبرالية الكلاسيكية، التي تتوازن فيها أهم قيم الليبرالية ألا وهي الحرية والفردية والمساواة، التي تختلف كثيراً عن تلك الليبرالية الجديدة Neoliberalism التي لا تعطي اهتماماً للعدالة الاجتماعية وتتجرف في حريات اقتصادية طبقية تكاد تبطل القيم المجتمعية الليبرالية، ولعل أهم ما يمثل تلك التوجهات في العقود الأخيرة هم المحافظون الجدد الذين يعبر عنهم فوكوياما في مقولته عن نهاية التاريخ، إذ إنه يؤكد على الاستبعاد المبدي لأي حديث عن العدالة الاقتصادية، بل يتهم المطالبين أو المعتمدين لتلك العدالة بأنهم يفتقدون إلى الديمقراطية والليبرالية! ولا شك في أن في هذا التوجه المتطرف لليبرالية الجديدة كثيراً من الأخطار على بنية المجتمعات، وهذا ما رصده رولز مبكراً وحذّر منه وحاول علاجه بداية من طرح نظريته عن العدالة في عام 1971، وهو الذي بدأ بمقال في إحدى المجلات الفلسفية، ثم من كثرة ما أثاره من جدل ونقاش أخذ رولز في تطويره مضيفاً إليه كماً هائلاً من الأفكار والتحليلات حتى تتضمن 87 مبحثاً يبدأ أولها بإيضاح دور العدالة وأهميتها وتنتهي بالخير العام للعدالة حيث كانت قضيتها الأساسية هي إعادة العدالة وتفعيلها داخل بنية المجتمع، لأن في ذلك تحقيقاً للمبادئ التي يجب أن يتمتع بها المجتمع الذي يفترض كونه ليبرالياً، ومن ثم حاولت نظريته العدالة عند رولز إعادة القيمة الدستورية Constitutional للديمقراطية، التي افتقدت الكثير من معانيها بسبب التطرف في الفردية التملكية الرأسمالية.

ومن ثم فإن هذا التعمق في فلسفة رولز يدلنا على أنه لم ينطلق في أفكاره ليعالج الطبقة الاقتصادية المتفارقة في المجتمع فقط، بل أيضاً تنطوي نظريته على محاولة معالجة مشكلات مجتمعية أخرى يعانيها المجتمع، الذي تفترض ديمقراطيته، ألا وهي مشكلة العنصرية ومثالها العدوانية ضد أغلب أصحاب البشرة السوداء، وكذلك العدوانية ضد الأقليات وكل ما يمثل الآخر وحقوقه. فقد أدرك رولز أن الحد من الطبقة الاقتصادية سيؤدي كذلك إلى الحد من العنصرية، وغيرها من تلك المشكلات، والعكس صحيح، ومن ثم كانت تحذيراته ومحاولاته العلاجية.

والسؤال الآن ما النسق المعرفي والمفاهيمي الذي من خلاله يستطيع هؤلاء الأفراد المجتمعون التوصل إلى العدالة ومبادئها؟ وما طبيعة علاقة تلك المفاهيم بالفردية؟

2-2. النسق المفاهيمي Conceptual Schema

يتضمن الموقف الأصلي، في طريق عمله للتوصل إلى تحديد معنى العدالة ومبادئها، عدة مفاهيم أساسية من أهمها ما سماه رولز البنية الأساسية للمجتمع، ثم مفهوم الإجماع الشامل أو الكلي الذي يؤكد ما هو معقول وعام ومشارك بين المواطنين بناء على ثقافتهم الديمقراطية المشتركة والعامية.

إن البنية الأساسية عند رولز هي أقرب ما تكون إلى الإطار التربوي الذي يكرس قيمة العدالة عند الفرد، وهذا ما يوضحه رولز «تشمل هذه البنية المؤسسات الاجتماعية التي يمكن فيها للبشر أن يطوروا قواهم الأخلاقية ويصيروا أعضاء متعاونين تعاونًا كاملاً في مجتمع يؤلف من مواطنين أحرار ومتساوين. وهي تحقق -باعتبارها الإطار الذي يحافظ على العدالة الخلفية عبر الزمن من جيل إلى الجيل الذي يليه- فكرة، وهذه الفكرة مركزية بالنسبة إلى العدالة كإنصاف، العدالة الإجرائية الخلفية الصافية كعملية اجتماعية مثالية» (العدالة كإنصاف 170).

وللأسرة دور رئيس في هذا النسق المفاهيمي «الأسرة جزء من البنية الأساسية للمجتمع لأن من بين أدوارها الرئيسية أن تكون الأساس لإنتاج وإعادة إنتاج المجتمع وثقافته بطريقة منتظمة من جيل إلى الجيل الذي يعقبه» (رولز- قانون الشعوب 206). وهذه البنية الأساسية تعد قاعدة استيعاب الأفراد للحقوق والواجبات وكذلك المنافع المشتركة، يقول رولز: «بالنسبة إلينا تعد البنية الأساسية للمجتمع هي المادة الأولية للعدالة، أو بدقة أكبر، الطريقة التي تقوم بها المؤسسات الاجتماعية الرئيسة بتوزيع الحقوق والواجبات الأساسية، والتي بها أيضًا تُحدد تقديم المنافع الناتجة من الشراكة الاجتماعية» (Rawls- A Theory of Justice 7, 14).

كذلك يقدم رولز فكرة الإجماع المتداخل *Overlapping Consequence* بمعنى تشارك الأفراد في مجموعة من الأطر الثقافية العامة المعقولة، وفق متطلبات التعايش المجتمعي، وهذه الفكرة على درجة كبيرة من الأهمية في رؤيته «في منحنا فكرة الإجماع المتشابك مركزًا هامًا، نحن نفترض وجود واقع هو التعددية المعقولة، وأن هذا الواقع حالة دائمة للمجتمع الديمقراطي» (العدالة كإنصاف 135). ثم يضيف أن هذا الإجماع المتداخل من أهم أسس المجتمع الحسن التنظيم «إن المفهوم السياسي في مجتمع حسن التنظيم يتأكد بهذا الإجماع المتشابك المعقول» (133).

ومن خلال الإجماع المتداخل يتأتى العقل العام *Public Reason*، وهو القدر المطلوب لما هو مشترك بين الأفراد من معرفة وحقائق، والتي تساعدهم في مناقشة الأمور العامة «فإذا كان علينا أن نتحدث عن العقل العام، وعن المعرفة وطرق التفكير - أي الحقائق الواضحة للجميع، والتي هي في أساس انتقاء الأطراف لمبادئ العدالة، فيجب أن تكون كلها في متناول العقل العام للمواطنين» (رولز- العدالة كإنصاف 222).

وهذا هو سبيل الاستقرار «إن الإجماع المتداخل لمجموعة القيم المشتركة، هو الضامن لتحقيق الاستقرار المجتمعي وفق تلك الديمقراطية الدستورية والتي هي نفسها تحترم حق الاختلاف والتنوع» (Rawls- Political Liberalism 134).

ويوضح رولز أن الذاتية الفردية ليس المنوط بها تحديد تقدير الذات (تقييم النفس)، فهذه مهمة للمجتمع وليس الفرد «المجتمع هو المقياس في تقدير الذات، كما يجب أن يكون هو أيضًا المقصد النهائي في اختيارات الذات الفردية».

وفي ذلك الإطار من المجتمع الحسن التنظيم *Well Ordered Society* تعتمد فكرة التبادلية بمعنى تبادل المنافع الاجتماعية، ليس في إطار المنفعة الضيقة أو الظالمة، ولكن في إطار من التبادلية العقلانية «المجتمع محكم التنظيم لا يمكن أن يتضمن أي قيم فردانية *Individualistic Values* لا يكثر فيها الفرد إلا بمصالحه» (Rawls- "Fairness to Goodness" 550). وهذا ما يفترض في الديمقراطية الدستورية «طالما أنها تنص على الالتزام بتأمين الحقوق لكل المواطنين» (Rawls- Political Liberalism 156). ومن ثم فإن رولز لا يترك للفرد وضع تصورات واعتقاداته الاجتماعية وفقًا لأهوائه أو ميوله الرغائبية، بل يؤكد على المنظومة الاجتماعية في توجيه الفرد.

3-2. مبدأ العدل Two principles of justice

في الوضع الأصلي يتوصل الأفراد المجتمعون إلى اختيار العدالة كنظرية ومنظومة حاكمة، ثم يحددون المبدأين الأساسيين لتلك العدالة، ولا شك في أن هذا ما كان ليحدث - في وجهة نظر رولز - إلا بالتزام هؤلاء الأفراد بحجاب الجهالة الذي يجيد الأنانيات الفردية، وكذلك في إطار النسق المفاهيمي في المجتمع حيث البنية الأساسية والإجماع المتداخل والعقل العام.

وينص المبدأ الأول للعدالة على «أن لكل شخص حقاً متساوياً Equal Right في جميع الحريات الأساسية Basic Liberties التي يحصل عليها الآخرون بحق مماثل» (Rawls- A Theory of Justice 53).

ويوضح رولز المبدأ الأول من خلال قائمة أساسية من الحريات «تأتي في مقدمتها الحرية السياسية Political Liberty والتي تتضمن حق التصويت The right to vote وحق تولي المناصب Public office وكذلك حرية التعبير، وحرية الاجتماع. إضافة إلى الحرية السياسية، يأتي أيضاً حق الملكية الشخصية، وحرية الضمير وحرية التفكير والحرية الشخصية، ولا شك في أن كل هذا يفترض حماية الشخص -وبنص القانون- من أي قمع جسدي أو نفسي» (Rawls- A Theory of Justice 53).

وينص المبدأ الثاني للعدالة على «العدل في توزيع الخيرات من فرص Opportunities و ثروات Riches ومناصب، وأن التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية Social and economic inequalities يتم تسويتها بحيث تصبح في مصلحة الجميع، وإن لم يكن ممكناً فيجب أن تكون نتائجها في صالح من هم أقل قدرة على الاستفادة من تلك الخيرات والمنافع» (Rawls- A Theory of Justice 53, 62).

ويؤكد رولز على قبول هذين المبدأين في ترابطهما التكميلي، شرطاً لتحقيق المجتمع الجيد التنظيم وهو ذلك المجتمع المصمم لتحقيق الخير لكل أعضائه، وهذا من خلال تصور عام وفعال للعدالة، حيث يقبل فيه كل شخص، ويعرف أن الآخرين يقبلون، مبادئ العدالة نفسها، كما أن المؤسسات الاجتماعية تلتزم وتفي بها أمام الجميع.

يقول رولز «إن الفرق الشاسع Larger difference بين الطبقات ينتهك مبدأ المنفعة المتبادل، وكذلك المساواة الديمقراطية Democratic equality» (Rawls- A Theory of Justice 68, 69).

وبناء عليه، يستبعد رولز الحرية الاقتصادية في مفهومها الرأسمالي من الحريات الأساسية التي ينص عليها المبدأ الأول للعدالة «بالطبع، وفقاً لمبدأي العدالة، والحريات التي ليست على القائمة، كحرية امتلاك وسائل الإنتاج Means of production، وكذلك حرية التعاقد وفق عقيدة الحرية الاقتصادية (الرأسمالية) هذه الحريات ليست أساسية are not basic ومن ثم فهي غير خاضعة للحماية من خلال أولوية المبدأ الأول» (Rawls- A Theory of Justice 54).

ويعد استبعاد رولز للمفهوم الرأسمالي للحرية الاقتصادية استبعاداً لتوحش الطبقة والاحتكار، اللذين يؤديان دوراً سلبياً، إن لم يكن مدمراً، على مبدأ العدل الاجتماعي، يقول رولز «إن الرأسمالية تجيز لطبقة صغيرة أن يكون بيدها ما يقارب الاحتكار لوسائل الإنتاج» (العدالة كإنصاف 299).

ومن قبل حذر ميل من هذا التطرف الرأسمالي، وما يسببه هذا من انفلات الاقتصاد والتجارة على حساب مصالح المجتمع «فالتجارة هي من التصرفات الاجتماعية ولذا وجب طبقاً للمبادئ والأصول أن يدرج هذا التصرف ضمن الأمور الخاضعة لسيطرة المجتمع» (152).

وبناء على نظريته في العدالة يقدم رولز فكرة ملكية الملكية التي تتجنب مساوئ الطبقة الرأسمالية «إن ديمقراطية ملكية الملكية Property Owing تتجنب حصول هذا، وذلك عن طريق تأمينها لانتشار واسع للملكية وسائل الإنتاج والرأس مال البشري (أي التعليم والمهارات المدربة) في بداية كل مرحلة زمنية وذلك استناداً إلى خلفية المساواة المنصفة بالفرص» (العدالة كإنصاف 299، 300).

ومن ثم، فإن ملكية الملكية تجعل ملكية الثروة، وكذلك منظومة الحياة السياسية، في متناول جميع الفئات والأفراد «المؤسسات الخلفية في ديمقراطية ملكية الملكية تنشر ملكية الثروة والرأس مال، وبالتالي تمنع قسماً صغيراً من المجتمع من إدارة الاقتصاد والسيطرة عليه، وتمنع أن يحصل مثل هذا، وبطريق غير مباشرة، في الحياة السياسية أيضاً» (299).

ولنفند الآن علاقة الفردية بمبدأي العدل، خاصة ذلك المبدأ الثاني حيث التأكيد على العدالة في توزيع الخيرات، متساوئين هل هو موقف سلبي من الفردية؟

رأى رولز أن إلقاء المجتمع في اعتقادات الحريات الاقتصادية والتملكية المطلقة، يمثل خطراً كبيراً على المجتمع وتماسكه، بل كذلك خطراً على القيم الديمقراطية، ومن ثم كان تأكيده على مبدأي العدالة من حريات أساسية ومتطلبات العدل الاجتماعي، وهو، في رأي الباحث، في ذلك لا يفتتت على الفردية وحريتها، بل حاول أن يمد مظلة حقوق الفردية، لكي تصل إلى جميع الأفراد داخل المجتمع، بدلاً من احتكارها لصالح طبقة معينة.

وأكد رولز على أن العدالة التوزيعية Distributive Justice هي المنوط بها الحفاظ على المجتمع الديمقراطي وما يفترض فيه من حريات.

إذاً، مبدأ العدالة عند رولز لا يتضمنان إلغاءً للفردية وحريتها، بل تنظيمها وفق إطار من العدل الاجتماعي، وبذلك تصبح فردية إنسانية تحقق صالح المجتمع بكل أفراد.

وإذا كانت تلك هي علاقة الفردية بمبدأي العدالة، فالسؤال الآن عن ما هو أخطر، أو ما هو أكثر مراوغة في موقف رولز من الفردية، وهو حجاب الجهالة، وموقع الفردية من هذا الغطاء الحاجب.

3. موقع الفردية من حجاب الجهالة

3-1. طبيعة حجاب الجهالة

يقول رولز «من الجوهرية أن تصل الأطراف، باعتبارها مؤلفة من ممثلين عقلايين، إلى الحكم ذاته حول المبادئ التي يجب تبنيها، وهذا يسمح بالقول إن اتفاقاً إجماعياً يمكن التوصل إليه وحجاب الجهل يحقق هذه النتيجة بوضعه الأطراف في حدود مجموعة الوقائع العامة ذاتها» (العدالة كإنصاف 217).

ويكتب أيضاً «من بين المواصفات الأساسية The essential features لهذا الوضع الأصلي أنه لا أحد يعرف موقعه في المجتمع؛ طبقته أو وضعه الاجتماعي، ولا أحد يعرف مكانته في توزيع الأصول الطبيعية Natural assets وأيضاً لا أحد يعرف إمكاناته Abilities ولا مستوى ذكائه ولا قوته، وما إلى ذلك، وسوف أفترض أيضاً أن الأطراف لا يعرفون حتى تصوراتهم للخير أو نزعاتهم السيكولوجية الخاصة، فمبادئ العدالة يتم اختيارها خلف حجاب الجهل» (Rawls- A Theory of Justice 11).

وكذلك يؤكد رولز على أن حجاب الجهالة هو ما يمنع الذاتية من أن تسيطر أو تطمس رؤيتنا الأخلاقية «إن حجاب الجهل يمنعنا من أن تكون رؤيتنا الأخلاقية خاضعة لأهوائنا ومصالحنا الذاتية [...] إذاً نحن نشترك بوجهة نظر عامة بالتوازي مع الآخرين، من دون أن تخضع أحكامنا لوجهة نظر شخصية» (Rawls- A Theory of Justice). (453, 454).

إن عبارات رولز هذه عن حجاب الجهالة توحى بأنه بمنزلة احتجاز أو تقييد جبلي للفرد، حتى يكون مؤهلاً للوصول إلى العدالة والاتفاق على مبادئها. أليست هذه أدلة اتهام ثابتة على رولز من أنه بالفعل قد اتخذ موقفاً معادياً من الفردية، بل ربما ذهب به هذا الحجاب من الجهل إلى الصفوف الكارثية للأنظمة الشمولية الاستبدادية التي تلغي جميع الحريات الفردية؟

إن مزيداً من التحليل سيجعلنا نقرب أكثر من استخلاص وتحديد علاقة هذا الغطاء الحجاب بالفردية، تتضمن طبيعة حجاب الجهالة تحييداً فعلياً للميول الفردية، ولكنه ليس حجباً للإرادة عند الفرد، فرغم حجاب الجهالة، فإن الفرد وبياراته الحرة - المتوشحة بالنسق والإلزام المجتمعي - هو الذي يختار ويحدد مبدأى العدالة. بل لعل هذا المنظور للفرد قد جعل نظرية رولز برمتها تقترب كثيراً من المثالية الكانطية، فرغم محاولته الابتعاد عن الانغماس في الميتافيزيقا الكانطية، فإننا نرى أن التخلص من الأنانية Egoism عن طريق حجاب الجهالة عند رولز يقترب من مبدأ الواجب الأخلاقي، حيث تخلص الفرد تماماً من أي نزعة غائية، فيقول رولز نفسه «إن فكرة المجتمع الحسن التنظيم هي فكرة تعتبر مثالية إلى حد واضح» (العدالة كإنصاف 97). بل نجد أن افتراضية الوضع الأصلي وحجاب الجهالة سعت لأن تكون أكثر تجريداً من افتراضية العقد الاجتماعي، وهذا يؤكد قول رولز «إن تصوري للعدالة يستلزم رفع مستوى التعميم والتجريد لنظرية العقد الاجتماعي الموجودة عند لوك وروسو وكانط» (Rawls- A Theory of Justice 10). فضلاً عن الثقة في الإرادة الفردية عند رولز، التي ربما أوصلته إلى المثالية.

كذلك رغم أنه جعل المجتمع مرآة الحكم على شخصية الفرد، فإننا نراه في الوقت نفسه يؤكد على احترام الذات كمبدأ مفصلي في الخيارات الأولية من حرية وثروة ودخل وفرص العمل، التي يجب أن يتمكن منها كل إنسان بالتساوي «إن العدالة كتحرر من الظلم والعسف تجعل تقدير الذات كمركز للمبادئ الأخرى، لأنها بمنزلة الدافع والداعم الدائم لتلك المبادئ» (Rawls- A Theory of Justice 440). إذاً نحن - حتى الآن - لسنا بإزاء نزعة معادية للفردية، بل أمام فهم جديد يعيد لتلك الفردية توازنها.

2-3. حجاب الجهالة والحريات

والآن نحاول تحديد موقع الحريات الفردية في ظل هذا الغطاء من الجهالة الذي افترضه رولز وفرضه على الفرد. ومن الموضوعية أن نؤكد على أن في حالة اكتفاء رولز بالمبدأ الثاني معياراً وحيداً عن العدالة ومعناها ومقصدها، في هذه الحالة من المؤكد أن موقفه من الفردية يمكن تصنيفه على أنه موقف معادٍ من الفردية؛ لأنه كان سيُقحمها في أتون نظام شمولي تصادر فيه حقوق الفردية وتسد فيه آفاق المجتمع.

أدرك رولز منذ البداية إمكانية استغلال نظريته عن العدالة وتوظيفها في أنظمة الاستبداد والقمع بحجة الصالح والعدل المجتمعي، ومن هنا كان أحد أهم أسباب تأكيده على المبدأ الأول لتلك العدالة، وهو مبدأ الحريات الأساسية، ومن ثم كان هذا ضامناً لإنسانية المقصد من المبدأ الثاني؛ مبدأ العدل الاجتماعي.

وهذا الفهم للحرية والفردية التزم به رولز في نظريته عن العدل ومقولته عن الوضع الأصلي وحجاب الجهالة ومبدأي العدل، ومن هنا كان تمييزه الواضح والحاسم بين مطلب تنظيم الحريات، وبين التقييد الاستبدادي «إن هذا التنظيم Adjustment الأساسية يختلف تمامًا عن التبجح بذريعة الصالح العام، سياسيًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا، لتبرير تقييد Restrict هذه الحريات. إن العدالة كتجرد من العسف تنظم الحريات الأساسية فقط، من خلال مقاصدها ودورها الترابطي والتكميلي مع بعضها البعض» (Rawls- Political Liberalism 358, 359).

لقد كان رولز حريصًا على أن يضع حدودًا فاصلة بين نظريته عن العدالة، وبين الأنظمة الشمولية والاستبدادية، فلا يمكن قبول التضحية بأي قدر من الحرية إلا في سبيل الحرية ذاتها. بل نضيف إلى رفضه أن الأزمات لا تعالج بالكوارث، والأخطاء لا تعالج بالخطايا.

بناءً على كل ما تقدم، نرى أن حجاب الجهالة ليس نزعة معادية للفردية، تحجب حريتها، بل كان حجبًا لمسيبات الأنانية، إذا جاز التعبير، التي تصيب الفردية بالتطرف والعدوانية المفرطة. إذًا بفهم جديد للفردية، قصد رولز إقامة ما يمكن أن نطلق عليه العقلانية الاجتماعية التي هي مناط المجتمع الحسن التنظيم.

3-3. النقد الموجّه

يختلف رولز ويتميز من الفلاسفة الذين يرون أن أي تدخل من المجتمع أو السلطة الحاكمة لتحقيق القدر المطلوب من العدالة الاجتماعية إنما هو اعتداء على الحريات الفردية. وفي هذا الإطار يمكن أن تمثل مقولات معينة من داخل معسكر الليبرالية نقدًا لنظرية رولز عن العدالة، كأفكار هايك (1889-1992) عن رفض خضوع الحريات الفردية وفي مقدمتها الحريات الاقتصادية لأي تدخلات من قبل أي سلطة في المجتمع، وعن تخفيف معاناة الفقراء فيتم تركها للعمل الطوعي من الأفراد الأغنياء (Hayek).

وكذلك رؤية روبرت نوزك (1938-2002) عن ما يمكن أن يسمى الدولة الحارسة (Nozick 72). أو دولة الحد الأدنى، حيث قدسية حرية التملك وفق مفهومها الرأسمالي، من دون تدخل الدولة، إلا لحماية تلك الحريات الفردية وتأمينها.

ورد رولز على مثل هذا النقد بالإيضاح الآتي «إن أولية الحريات الأساسية لا يتم خرقها عندما يتم تنظيمها وفقًا لظروف اجتماعية معينة ضرورية لممارستها العملية» (Rawls- Political Liberalism 295). بل نستطيع أن نضيف إلى حجة رولز بأن أول حق من الحقوق الطبيعية للإنسان هو حق الحياة، إذًا كل ما يمثل خطرًا على حق الحياة هو نفسه يمثل خطرًا على الفردية. فإذا ما كان الظلم والتهميش الاقتصادي وفقدان حق العمل، في ظل نمط رأسمالي متطرف، يستغل مثل هذه الأفكار، ويحشرها في اندفاعات الجشع والاستغلال، إذا كان هذا يحدث باسم الحرية الفردية على مستواها الاقتصادي، فإن ذلك يعني تدشين الحرية ضد أول حق من تلك الحقوق الطبيعية؛ حق الحياة.

ومن داخل معسكر الليبرالية أيضًا نجد نقد هابرماس Habermas الذي يذهب مع رولز في تأكيده على الحرية، ولكن كان وجه نقده متمثلًا فقط في نقطة فنية - إذا جاز التعبير - وهي أن الوضع الأصلي الذي افترضه رولز لا يمكنه أن يحقق الحيادية، خاصة إذا افتقد إلى القناعات المسبقة للأفراد بأهمية تلك الإجراءات عن العدالة.

ولكن، في رأي الباحث أن أسوأ توجه يمكن أن تأخذه الليبرالية تجاه أفكار رولز ونظريته عن العدالة هو ما أتى في مقولة فوكوياما عن نهاية التاريخ، حيث تدشين هذا النموذج عن الليبرالية الرأسمالية المتطرفة كنهاية مثالية للتاريخ الإنساني! رافضًا تمامًا أي حديث عن ما يسمى العدالة الاقتصادية Economical Justice لأنها تعني فقدان

الدولة لوصف الليبرالية. يقول فوكوياما «من المفيد أن نرى ما هو موقف الدولة تجاه مبدأ شرعية الملكية الخاصة والمؤسسة الخاصة، فالدول التي تحمي هذا النوع من الحقوق الاقتصادية تدعى ليبرالية. والدول التي تعارضها أو تركز على مبادئ أخرى (مثل مبادئ العدالة الاقتصادية) فإنها تعد من الدول غير الليبرالية» (70).

ثم يكرس فوكوياما (71، 210، 288)، ومن بعده هنتنغتون (Samuel Huntington 48، 325، 352) توجهًا عدوانيًا، بل تدميرياً ضد الآخرين لأنهم يمثلون ثقافات/ حضارات مختلفة! وكأن الاختلاف جريمة نكراء ولسيت ثراء حضارياً.

وعن تأثيرات موقف رولز في الليبرالية، نستطيع أن نجد تأثيرات معينة في تلك الإجراءات الاجتماعية التي تتخذها كثير من الحكومات لدعم المتضررين من تسونامي الرأسمالية المتطرفة، ولكن هذا التأثير ربما لم يكن بذلك القدر الذي أراده رولز وأكد عليه، خاصة إذا اتخذت تلك الإجراءات من قبيل المسكنات وليس العلاجات البنيوية الحقيقية.

أيضاً ما يدلنا على عدم كفاية تلك الإجراءات هو إعادة أو استمرار التحذيرات من هذه الاندفاعات الرأسمالية التي تجرف التماسك والاستقرار الاجتماعي، بل تمتد أطباعها إلى العدوان على حقوق وحرية الشعوب الأخرى، وتظهر تلك التحذيرات بصورة جلية في ما يرصده ويحلله جون غراي وتشومسكي وكذلك بعض أفكار أنطوني غيدنز وكذلك تتضح في تزايد وتيرة الاحتجاجات التي تندلع في الكثير من الدول.

ومن ثم فإن تأثيرات رولز في الليبرالية، في رأي الباحث، ستتحدد وفق موقف تلك الليبرالية من أفكار رولز، بمعنى أنه بقدر ما ستأخذ الليبرالية بمثل أفكار رولز ونداءاته بقدر ما ستحقق تلك الليبرالية قوتها ومنعتها. في حين أنه بقدر ما ستتعد عن نداءات العدالة الاقتصادية والاجتماعية، معتقدة في الحرية الاقتصادية المتطرفة، بقدر ما ستفقد قيمتها الإنسانية ووجهتها العقلانية.

إن أخطر ما في توجهات النيوليبرالية التي لا تكثر بأي معنى للعدالة الاجتماعية، أنها لا تأخذ حتى بالشعار النفعي الذي رفضه رولز؛ أكبر قدر من السعادة لأكثر عدد من الناس، بل إنها واصلت مزيداً من التحريف لهذا الشعار فحولته تماماً إلى أكبر قدر من الأرباح لأقل عدد من الناس، ولذلك أصبحت تلك التوجهات بمنزلة جرافات مدمرة ضد الأفراد الآخرين، ولعل هذا يفسر عدم اكتفاء مثل تلك التوجهات بالاستغلال داخل مجتمعاتها بل الاندفاع المستجد، وربما الأكثر شراسة، لنهب حقوق الآخرين.

ومما يؤكد إخلاص رولز لليبرالية أو إخلاصه لمبادئها الافتراضية ما نرصده من رفض شديد لأفكاره في تمسكه بالحرية الفردية، من أصحاب بعض الاتجاهات الجماعية Communitarism، وأيضاً بعض الاتجاهات الاجتماعية، فنجد توجه تايلور Taylor بالنقد لنظرية رولز عن العدالة من منطلق أنه أبقى على الإرادة الذاتية في تحديد الأسس الأخلاقية، وأن هذا يؤدي إلى التشتت في المجتمع.

وربما النقد الأكثر شدة هو هذا الذي وجهه ساندل وقاعدة النقد المركزية التي انطلق منها في نقده لليبرالية، بما فيها ليبرالية رولز، هي أنها تفترض أن الفرد يمكن أن يكون ذاتاً وموضوعاً في الوقت نفسه يقول «إن الليبرالية تقدم لنا الوعد الكاذب عندما تؤكد القيم الفردانية ثم تتصور التزام هذا الفرد بمبادئ حيادية» (Sandel- Liberalism and the Limits of Justice 11; Liberalism and its Critics).

ولكن إذا كنا في إطار النقد الموضوعي، فإن الباحث يرى أن نظرية رولز عن العدالة قد اقتربت بالفعل من

المثالية، مما أفقدها كثيرًا من أوجه القدرة على الإقناع الواقعي لدفع الأفراد لتحقيق ذلك التنازل الطوعي عن وضعهم الاجتماعي والاقتصادي، فهذا أقرب إلى المثالية المتعالية، التي تفتقد الأسباب العملية لتحقيق ما تصبو إليه.

إن الجينات الصدمية والعدوانية لن يبرأ الفرد منها أو يتخلى عنها بندايات مثالية خاوية الوفاض من منافع ملموسة للفرد، فما الذي سيدفعه بإرادته لأن يتجاهل مكاسبه المتضخمة؟ هذا إن أردنا أن نحافظ على حرته، بل من سيجبره فعليًا على التضحية بمركزه الاجتماعي وثروته ونفوذه، من أجل أن يقيم مساواة أو حتى عدالة مع أناس ينظر إليهم - في أغلب الأحيان - على أنهم أقل جدارة أو كفاءة أو حتى حظًا منه؟ بل من يضمن إن قمنا بإجباره، بهذه الطريقة، أن لا يتم الزجج بالفرد والمجتمع كله في متهات من الاستبداد والقمع وبما يزيد الأمر سوءًا؟!

وعند هذه النقطة نقدم ما يمكن أن نطلق عليه السببية الأخلاقية، حيث الوعي بطبيعة الفرد وجدليته الاجتماعية، وذلك بالتأكيد على أن مصالح ومنافع الفرد، بما فيه الفرد الرأسمالي، هي شديدة الارتباط بتحقيق القدر اللازم لحياة غيره من أفراد المجتمع. كذلك التأكيد على أن انحدار الأوضاع إلى مزيد من المظالم والفجوات الاقتصادية إنما يندرز بكوارث خطيرة على المجتمع كله بما فيه هؤلاء الرأسماليون أنفسهم. ومن ثم تأتي منطقية إصدار قرارات ملزمة للشركات الرأسمالية والقطاع الخاص، تتضمن الأجور العادلة التي تناسب الواقع الاقتصادي، وكذلك تنص على الرعاية والتأمين الصحي والوظيفي للعمال والموظفين مع إلزام تبادلي بجودة العمل وزيادة الإنتاج. وأيضًا مع تفعيل شفافية الأجهزة الرقابية، كل ذلك في آفاق من الشفافية الحقيقية وتجليات الحرية، وذلك تطبيقًا لمقولتنا السابقة إن من العدل أن يكون الإنسان حرًا كما أن الحرية لا تكتمل إلا بالعدل (القرش)، كذلك يمكننا التحذير من أن الاندفاع الجنوني والمرضي في ارتكاب المظالم والتوحش سيقننه اجتماعيًا، ومن ثم قد يكون هو نفسه؛ الفرد الرأسمالي، عرضة لهذا التوحش وربما بصورة أكثر بشاعة. ولذلك يؤكد الباحث دائمًا على أنه في أي مجتمع ربما من الطبيعي أن يكون هناك أغنياء وفقراء، لكن ليس من الطبيعي أن يوجد أغنياء إلى حد الترف والسفه وفقراء إلى حد البؤس والحرمان. ومن ثم فإن تفاقم توحش المظالم الاجتماعية إنما يهدد كيان المجتمع كله وخسارة الجميع، ومن ثم علينا الانتباه والحذر، إن مثل هذه المفاهيم تمكنا من إقامة ما نطلق عليه (الأسباب المنفعية) للعمل والموقف الأخلاقي. أيضًا من قرارات التقويم العملية لاندفاعات الرأسمالية العدوانية هو أن نقف بقوة إلى جانب الرأسمالية الإيجابية والوطنية لأنها من أهم ركائز بناء الوطن وتماسكه، لا الرأسمالية السلبية المتوحشة التي تبني لأطماعها وتنهب الوطن، والأوطان الأخرى إن استطاعت.

كذلك من الأهمية بمكان التأكيد على دافع نفعي آخر بوصفه محفزًا للالتزام بالفرد بالموقف الأخلاقي، وهو الوازع الديني النابع من الوعد الآخروي حيث تنمية النفعية الفردية بمفهوم أكثر اتساعًا حيث لا يحصرها فقط بالنفعية الفردية الدنيوية بل يجررها بإضافة نفعية فردية آخروية أخرى في حياة ما بعد الموت، والذي هو حقيقة واقعية ومؤكدة لا فرار منها. كما أن الإيمان بالبعث هو المعادل الموضوعي لتميز الفناء الإنساني من بقية الكائنات الأخرى، بل لعقلانية الوجود الإنساني كله.

إن الفرد يحتاج بالفعل إلى تلك الدوافع الواقعية للاقتناع الحقيقي بكرامة الآخرين وحقوقهم، فهذا مما يعطيه قدرًا من الغيرية وتقدير قيمة الآخرين، بما يجرره من السطو على كرامتهم وحقوقهم، وبما يدفعه إلى تهذيب أنانيته وغروره، بأن يحترم إنسانيتهم وأن يرتضي لهم أن يكونوا بشرًا أحرارًا.

خاتمة

انطلقت هذه الدراسة من تساؤل مفاده؛ هل يعد حجاب الجهالة نزعة معادية للفردية؟ وللاقترب من الإجابة، تم إيضاح مدى أهمية إشكالية الفردية بوصفها قضية مركزية في الفلسفة السياسية، وكذلك أهميتها في ظل ما تشهده المجتمعات المعاصرة من الطبقة الاقتصادية وقضية العنصرية المتزايدة والعدوانية ضد الأقليات، بل كل ما يمثل الآخر وحقوقه. وبالمناهج التحليلية، تم تفكيك مقولات رولز عن الوضع الأصلي والنسق المفاهيمي ومبدأي العدالة وحجاب الجهالة وعلاقة كل هذا بموقفه من الفردية.

تبين الدراسة أن رولز حاول عبر موقفه من الفردية تفكيك التشابك التاريخي بين الفردية الأنانية المتجذرة من جهة، والجماعية والمصلحة العامة من جهة أخرى. ومن ثم كانت محاولته لإيجاد طريق يتفادى عيوب كلتا النظريتين الليبرالية في صيغتها الرأسمالية التي تعاني، في كثير من الأحيان، من التطرف باسم الحرية الفردية، والماركسية في صيغتها الشمولية المتطرفة، ولعل ذلك ما يميز أغلب توجهات ما بعد الحداثة حيث عدم التوقع والتمترس المرضي في نماذج أيديولوجية مغلقة، والتطلع إلى بناء صيغ منفتحة وتوافقية تكون أكثر تعبيراً عن الإنسان وطبيعته والمجتمع وتطوره.

إزاء إشكالية الأنانية الفردية الواقعية، كانت افتراضية رولز عن الوضع الأصلي وحجاب الجهالة، وهذا يدعونا إلى القول إن موقف رولز من الفردية لم يكن موقف المؤيد والمروج لتلك السلطوية العدوانية التي انزلت إليها هذا النمط من الرأسمالية، حتى إن جاء هذا تحت تدليس معنى الحرية الفردية.

إن رولز لا يلغي الفردية، بل يعطيها بعدها الاجتماعي لتصبح فردية إنسانية تحقق صالح المجتمع بكل أفراد، وليست فردية سلبية تكاد تحتكر الحرية حيث تحقيق صالح فرد أو فئة معينة من الأفراد على حساب النحر الاقتصادي للأفراد الآخرين في المجتمع.

ولعل تأكيد رولز على مبدأي العدالة الاجتماعية والاقتصادية كان السبب الأساسي لاتهامه بالاشتراكية الماركسية وبأن فلسفته ما هي إلا محاولة لتحطيم الليبرالية الرأسمالية من داخلها، وبطبيعة الحال كان هذا الاتهام من الكتبة المؤيدين للرأسمالية الاستحواذية واقتصاد السوق في صورته المتطرفة والعدوانية.

والغريب أنه -وفي المقابل- كان الاتهام المضاد من أولئك الذين يميلون بصورة حدية إلى المذهب الجماعي، اتهامهم لفلسفة رولز أنها دفاع ملتو عن الليبرالية الرأسمالية حيث ارتداء ثوب ادعاء النقد. وفي واقع الأمر أن رولز حاول أن يقيم فهمًا جديدًا للفردية، وهو ما يمكن أن نطلق عليه الفردية الاجتماعية، ولذلك -وبعبارة حاسمة- نقرر أن رولز لم يرد أن يكون ليبرالياً مزيفاً ولا شمولياً مستبداً.

وهذا لا ينفي أن معالجة رولز لقضية العدالة وموقفه من الفردية كانت أقرب إلى المثالية منها إلى تقديم الأسباب العملية والواقعية الكافية لتحقيق ارتضاء الفرد بمثل هذا الحجاب المفترض وبمثل هذا المجتمع المنشود، وهذا أبداً ليس تهويناً من نظرية رولز، بل تواصل للطبيعة النقدية للفلسفة في محاولة للإضافة البنائية.

إن تحقيق العقلانية الاجتماعية ما زال يحتاج بالفعل إلى حزمة من الإصلاحات، بل العلاجات البنيوية، سواء

على مستوى الفهم والوعي الفردي أو مستوى المؤسسات الاجتماعية، وفي هذا السياق -ووفقاً لتبادل الأفكار والصيرورة الاجتماعية والجدلية الثقافية- ربما من الأهمية ظهور وانتشار صيغ تركيبية جديدة أكثر فهماً وتقويماً واعتدالاً لتحقيق الطبيعة الإنسانية في بنيتها الحرة وعقلانيتها العادلة.

ولذلك يؤكد الباحث على أن من الأهمية القصوى أن تتكامل وتتوازن الحرية الاقتصادية بإجراءات فعلية وعميقة وملزمة من العدالة الاجتماعية حيث توفير التعليم والصحة والخدمات المعيشية الجيدة، وبما يستطيع أن تستوعبه المداخل النقدية وقيمتها لجميع الأفراد بوصفهم مواطنين، فمن العدل أن يكون الإنسان حرّاً كما أن الحرية لا تكتمل إلا بالعدل.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- بوز، ديفيد (محرر). مفاهيم الليبرتارية وروادها: الفردية والمجتمع المدني. ترجمة صلاح عبد الحق. مراجعة فادي حدادين. بيروت: رياض الرئيس للكتب والنشر، 2008.
- ديوي، جون. الفردية قديماً وحديثاً. ترجمة خيرى حماد. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.
- روسو، جان جاك. العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي. ترجمة عبد العزيز لبيب. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011.
- رولز، جون. قانون الشعوب وعودة إلى فكرة العقل العام. ترجمة محمد خليل. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2007.
- _____ . العدالة كإنصاف: إعادة صياغة. ترجمة حيدر حاج إسماعيل. مراجعة ربيع شلهوب. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009.
- فوكوياما، فرانسيس. نهاية التاريخ والإنسان الأخير. ترجمة فؤاد شاهين ورضا الشايبى. مراجعة وتقديم مطاع الصفدي. بيروت: مركز الإنماء القومي، 1993.
- القرش، محمد. العدالة والحرية بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي المعاصر: دراسة مقارنة. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2011.
- كانط، إيمانويل. أسس ميتافيزيقا الأخلاق. ترجمة محمد فتحى الشيطي. بيروت: دار الثقافة العربية للطباعة والنشر، 1970.
- لالاند، أندريه. موسوعة لالاند الفلسفية. تعريب خليل أحمد خليل. ط 2. بيروت/ باريس: منشورات عويدات، 2001.
- ماركس، كارل وفريدريك إنجلز. بيان الحزب الشيوعي. ترجمة إلياس شاهين. ط 2. موسكو: دار التقدم، 1993.
- ميل، جون ستيوارت. عن الحرية. ترجمة طه السباعي. القاهرة: دار المعارف، 1922.
- هنتنغتون، صمويل. صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي. ترجمة طلعت الشايب. تقديم صلاح قنصوة. القاهرة: دار سطور، 2014.
- هوندرتش، تد. دليل أكسفورد للفلسفة. ترجمة نجيب الحصادي. تحرير الترجمة منصور محمد البايور ومحمد حسن أبو بكر. مراجعة اللغة عبد القادر الطلحي. طرابلس، ليبيا، المكتب الوطني للبحث والتطوير، 2003.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Bentham, J. *An introduction to the Principles of Moral and Legislation*. London/ New York/ Toronto: Clarendon Press, [1823].
- Hayek, Friedrich August. *The fatal conceit: The Errors of Socialism*. London: Routledge, 1988.
- Hegel, F. *The Philosophy of Right*. T.M. Knox (trans.). Oxford: Oxford University Press, 1971.
- Hobbes, Thomas. *Leviathan*. The Library of liberal arts. Indianapolis: Merrill publishing, 1993.
- Nozick, Robert. *Anarchy, State, and Utopia*. New York: Basic Books, 1974.
- Rawls, John. "Fairness to goodness." *The Philosophical Review*. vol. 84, no. 4 (1975).
- _____. *A Theory of Justice*. Revised Edition. Cambridge, MA: Belknap Press - Harvard University Press, 1999.
- _____. *Political Liberalism*. Expanded Edition. New York: Columbia University Press, 2005.
- Sandel, Michael. *Liberalism and its Critics*. New York: New York University press, 1984.
- _____. *Liberalism and the Limits of Justice*. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.